"في التسليم للعترة الطاهرة"

أدب الدعاء عند الإمام الهادي عليه السلام
دراسة في لغته وبلاغته

Supplication Ethics of Imam Al-Hadi (peace be upon him)
(Study on His Language and Eloquence)

م.د. زينة كاظم محسن

M.D. Zeina Kdhim Mohsen

العراق/ كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة-بغداد/

قسم اللغة العربية

Dept of Arabic, University College of Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences , Baghdad Departments ,Iraq

zina.kadhum@alkadhum-col.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخّصُ البحث:

إنّ مراجعة كلمات العظماء تبعث في النفوس عبير شذاها، وتأخذ بالأرواح إلى نسيم هداها، فيكف يكون في تراث كلمات رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ومنهم مولانا الإمام علي الهادي عليه السلام، وتهدف هذه الدراسة إلى دراسة كلام الإمام (صلوات الله عليه) في النصوص الواردة عنه في العقائد والقرآن الكريم والأخلاق والمواعظ والمسائل الفقهية والمسائل التي كانت توجه إليه (صلوات الله عليه) والأدعية المأثورة عنه، فكان البحث موسوما بـ (**أدب الدعاء عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة في لغته وبلاغته**).

ويسعى هذا البحث إلى دراسة البناء اللغوي والتركيبي في دعاء الإمام الهادي عليه السلام وتحليله، فالملاحظ أنّه اختص في نصوصه ببلاغة عالية تشابه تلك التي نجدها في آي القرآن الكريم.. وكان منهج البحث قائمًا على تحليل البناء اللغوي في نصوص الإمام الهادي عليه السلام، ومحاولة فهم المعاني التي يتلقاها المخاطب، واتخذت من دعاء المظلوم على الظالم للإمام الهادي عليه السلام ميداناً تطبيقاً للتحليل، وسبق ذلك بيان معاني الظلم في القرآن الكريم ومصطلحاته في العلوم وتحليل تلك السياقات التي يحاول البحث الوقوف عليها تنظيراً وتطبيقاً في الدعاء المذكور.

الكلمات المفتاحية: بلاغة الأدب، المعطيات الفكرية، الدعاء، العدل.

Abstract:

This study aims to study the words of the imam , prayers of Allah be upon him, in the texts of doctrines: the Holy Quran, ethics, sermons, doctrinal issues addressed to him (prayers of Allah) and his adage . here comes the research, Supplication Ethics of Imam Al-Hadi (peace be upon him) (Study on His Language and Eloquence), to analyze the linguistic and compositional construction in the words of Imam Al-Hadi (as) and it is noted that the texts are marked with high eloquence similar to those found in the Holy Qur'an. The research approach was based on an analysis of linguistic construction and an attempt to understand the meanings of the speaker. The analysis acts as an application to supplication of the oppressed against the oppressor and is preceded by the meanings of injustice in the Quran and its terminology in science.

Key words:
rhetoric, literature, language, the oppressed, the oppressor, the supplication, the justice.

المقدّمة:

إنّ النصوص التي يأخذها الدارس تكون مُختارة على وفق معايير خاصة، ودقّة عالية، ومن بين كثرة الدراسات وتشعبها يسعى الباحث أن يجد ما يأخذ بفكره من نصوص اللغة العالية ليسرح في دلالات ألفاظها، وتنوع سياقاتها وتفنن أساليبها ومستوياتها، فيسعى جاهدا أن يفسر النص كما ينقله الباث الأول ليكون متلقياً بارعاً، وعليه فقد كان كلام الإمام الهادي عليه السلام قبس أنوار وجد فيه البحث عنواناً ومضموناً ليكون مجالاً تطبيقياً علمياً ومعرفياً، ليكون عنوانه: (**أدب الدعاء الإمام الهادي عليه السلام دراسة في لغته وبلاغته**).

ومن المعلوم أنّ الدعاء له لغته العالية عند أهل البيت (عليهم السلام)، وله سمات روحية وتوجهات وجدانية في طلب الداعي، فضلاً عن بلاغة خطاب من المدعو إلى الداعي، فانصب هذا البحث على دراسة أدعية الإمام الهادي عليه السلام عموما، ووقفة خاصة على دعاء المظلوم على الظالم خصوصا، وما يتعلق من أثر الدعاء واستجابته وأدبه.

أهمية الموضوع:

١.رسم صورة لطبيعة الخطاب التي احتاجته مرحلة إمامة الهادي عليه السلام والبنى المعرفية التي أكّدها الإمام (صلوات الله عليه).

٢.التحليل اللغوي للنصوص الواردة عن الإمام عليه السلام في الأدعية والمسائل والتفسير والعقائد والأخلاق ومتفرقات الأسئلة التي كانت توجه إليه (صلوات الله عليه).

٣.معرفة المستويات اللغوية والأساليب البلاغية التي يتكرر ورودها في كلام الإمام الهادي عليه السلام.

أهداف البحث: تسعى هذه الدراسة إلى جملة من الأهداف وهي على النحو الآتي:

١. تقديم التحليلات الجديدة في كلام الإمام الهادي عليه السلام وتأويلها على وفق المعطيات اللغوية.

٢. معرفة الكتب التراثية التي تنقل النصوص التي وردت عن الإمام الهادي عليه السلام.

٣. الوقوف على اختلاف الدلالة للاستعمال اللغوي في كلام الهادي عليه السلام.

منهج البحث:

١. اعتماد المنهج الوصفي والتحليلي في دراسة كلام الإمام الهادي عليه السلام.

٢. الاستعانة بالتحليل البلاغي والدلالة النحوية واللغوية في تراصف المعاني وتناسق الألفاظ.

٣. اعتماد الجرد والإحصاء لتكوين حصيلة لما نقلته المصادر والموسوعات ومعرفة المسائل التي ركّز عليها الإمام الهادي عليه السلام والرسائل التي أوصلها لنا في سياقات كلامه وتراثه الفكري.

٤. سعى منهج البحث إلى التركيز على موضوع الظلم اختياراً وأخذ الوصايا والحكم التي يعلمنا بها الإمام (صلوات الله عليه) في فهم معايير الظلم، ومن هو الظالم؟ ومن هو المظلوم؟ وسياقات لغوية متراصة في تحليل دعائه الموسوم (**دعاء المظلوم على الظالم**) كما سيأتي في مطالب البحث.

صعوبات البحث: من المعلوم أن البحث يسعى لحل مشكلة ما باتباع خطوات التفكير الصحيح ومحاولة التوصل للحلول المناسبة، وهنا تكمن الصعوبة لدى الباحث نفسه إن حاول سبر أغوار نصوص ليست محددة بالحيز النظري وتطلب

طرق باب التطبيق والتغيير، والتماس الحكمة المرجوة من بعثة الأنبياء والأوصياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، إذ كانت **وظيفتهم تخليص الإنسان من قيود نفسه وتحريره من ظلم نفسه**، فما هو مقدار إدراكنا لهذه الحقيقة؟ سؤال يحتاج كلّ واعٍ أن يتأمله في نفسه!!

إذن أسئلة البحث هي:

- ما مدى فهمنا لظلم النفس ومصاديقه؟ وما مصطلحاته اللغوية والقرآنية والأخلاقية؟
- ما أنواع الظلم؟ وكيف يظلم الإنسان نفسه؟
- ما مضامين دعاء المظلوم التي يعلمنا إياها الإمام الهادي عليه السلام؟
- ما الأساليب التي وردت في الدعاء؟ وكيف كان الخطاب موجها من الداعي (المظلوم) للمدعو (الربّ)؟ وكيف كان ذكر المدعو عليه (الظالم) في سياقات الدعاء؟
- كيف يتحقق النور والعدل في ترك الظلم للنفس الإنسانية، وما القوانين النافعة في هذا الباب؟

تقسيم البحث: يتعرض البحث لمطلبين وهما:

المطلب الأول: معاني الظلم بين القرآن الكريم والمعجمات اللغوية وأنواع الظلم بلحاظ قوى النفس الإنسانية والخروج عن الاعتدال، وتقسيم الظلم بلحاظ الموضوع الشرعي والعقائدي والأخلاقي.

المطلب الثاني: تحليل دعاء الإمام الهادي عليه السلام (**دعاء المظلوم على الظالم**) وعُرف في

مصادر أخرى بـ(**دعاء الهادي على العدو**) واتخاذه مجالاً تطبيقا للوقوف على الجانب التنظيري والتطبيقي للتمعن في مضامين دعاء الإمام (صلوات الله عليه) والتركيز على أسئلة البحث الآنفة الذكر.

يذكر الدكتور محمود البستاني أنّ النتاج الفكري والأدبي والمعرفي للأئمة الأربعة (الجواد والهادي والعسكري والمهدي) (صلوات الله عليهم جميعا) كان محدودا، فلم تتهيأ لهم الظروف المؤاتية لنصوص كثيرة «لمتطلبات غيبية من جانب، وأسباب فردية مثل قصر المدة بالنسبة للإمام الجواد ﷺ، والإمام المهدي ﷺ، واجتماعية مثل إبعاد العسكريين ﷺ إلى سامراء، فضلا عن نمط الإرهاب الذي يحجز الناس عن الوصول إليهم ﷺ»[1].

أدعية الإمام الهادي ﷺ:

إنّ مجموع ما وردنا عن الإمام الهادي من أدعية نزرٌ قليل كما لاحظت ذلك في كتب الأدعية المختصة بنقل الأدعية الواردة عن المعصومين (صلوات الله عليهم)، فضلا عن الموسوعات المجموعة لآثار الإمام الهادي ﷺ وكلامه.

وتجدر الإشارة إلى أن الأدعية المنقولة عن الإمام الهادي ﷺ كانت على قسمين من حيث الأثر المنقول عنه (صلوات الله عليه) هما:

القسم الأول: ما نقل عنه من الأدعية ومن إملائه وتعبيره صلوات الله عليه

القسم الثاني: اختيارات الأدعية المخصوصة من آبائه صلوات الله عليهم أجمعين، وقد ذكر الإمام في مقدمة بعض الأدعية التي استعان بها وأشار إليها، وعليه فإن اختياراته دليل على:

١. تأكيد الدعاء المخصوص كونه ذا قيمة عالية فضلا عن الدعاء به من لدن الإمام ﷺ، وتعليمه لخواصه وأصحابه.

٢. توارث التراث واتصال الإمام بآبائه (صلوات الله عليهم)، إشارة إلى أهمية طلب معرفتهم واتباع نهجهم وأنّ الحقّ فيهم ومنهم ولهم.

٣. الأحداث التاريخية أحد أسباب قلة التراث الدعائي على وجه الخصوص فضلا عن أهمية الحاجة المجتمعية للوعي الجمعي لناس ذلك الزمان، فنجد تراث الإمام الهادي عليه السلام في المجال العقائدي أكثر ما اشتهر عنه، صلوات الله عليه كرسالة الجبر والتفويض التي كانت أطول نصٍّ منقول لكلام الإمام الهادي عليه السلام[٢].

وقد تنوع تراث الإمام الهادي الفكري والمعرفي في المصادر التراثية وقيّض الله أقلاماً نابضة لجمع ما تناثر من آثاره في موسوعات جامعة باسم موسوعة الإمام الهادي، وكتب جامعة مختصة في جمع الأدعية، ومن هذه المصادر:

•**موسوعة الإمام الهادي عليه السلام**: إعداد معهد باقر العلوم عليه السلام منظمة الإعلام الإسلامي، محمود الشريفي- السيد حسين سجادي تبار-على غلامي، الشركة الدولية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

•**موسوعة الإمام الهادي عليه السلام**: أبو الفضل الطباطبائي، أبو الفضل الإسماعيلي، إشراف: أبو القاسم الخزعلي، الطبعة الأولى، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قسم المشرفة، ١٤٢٣هـ، برنامج ألكتروني.

•**موسوعة الإمام الهادي عليه السلام**: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار المنهاج، د.ط، د.ت.

•**مسند الإمام الهادي عليه السلام**: جمعه ورتبه: عزيز الله العطاردي، الطبعة الثانية، انتشارات عطارد، إيران، ١٣٩١ مسند الإمام الهادي، جمعه ورتبه: عزيز الله العطاردي، الطبعة الثانية، انتشارات عطارد، إيران، ١٣٩١.

•**من أروع ما قاله الإمام علي الهادي**عليه السلام: محسن عقيل، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

المطلب الأول: معاني الظلم بين اللغة والقرآن الكريم:

قبل البدء بتحليل الدعاء نحتاج أن نتأمل في معنى الظلم في اللغة والقرآن الكريم، إذ تتعدد دلالات لفظة الظلم في القرآن الكريم كما سنشير وفق السياقات التي توجه الدلالة القرآنية لمفردة (**الظلم**)، فضلا عن تعدد معاني اللفظة في المعجمات اللغوية.

فالظلم في اللغة كما يقول الخليل (ت ١٧٠هـ): « والظُّلْمُ: أخذُكَ حقَّ غَيْرك. والظُّلامةُ: مَظْلَمتُكَ تطلُبُها عند الظّالم... والظُّلْمُ: الشِّرْك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]»(٣).

نلحظ من قول الخليل أنّ أحد معاني الظلم أن يحصل التعدي، ومن معانيه القرآنية هو الشرك، ويشير الجوهري (ت٣٩٥هـ) إلى أصل الظلم هو «وضع الشيء في غير موضعه»(٤)، « إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه»(٥)، **يتبين لنا أنّ ممّا تقدّم أن معنى الظلم عدم تحقيق العدالة أي الانحراف عن العدل،** فأخذ حقّ غيرنا هو الظلم وهو أيضا عدم الاعتدال في التصرف ويُفهم من ذلك أنّ الحقّ قد يكون ماديا أو معنويا، فقد يكون الظلم للنفس أو الآخرين أو حتى ظلم لله بكلمة أو إطلاق أحكام، وبذلك يكون هذا الظلم مصداقا للخروج عن جادة العدالة والاعتدال، فالمطلوب منّا أن نحاول اقتفاء العدالة والاستقامة حتى نخرج من الظلم، ويؤكد هذا المعنى ما يشير إليه الزمخشري في أساسه « والظلم ظلمة كما أن العدل نور « الظلم ظلمات يوم القيامة»(٦)، وهذا القول يأخذنا للمعنى الثاني للظلم بمعنى الظلمة، قال الراغب الأصفهاني: «ويأتي الظلم بمعنى الظلمة

والظلام وظلم أي: خلاف النور[٧]، ومأخوذا من قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾[يس:٣٧].

وممّا تقدم نخلص بأنّ معنى الظلم عند اللغويين يتمحور على دلالتين:

١.الظلم الخروج عن الحق والتعدي والجور، فهو وضع الشيء في غير موضعه والتجاوز...فهو عكس العدل.

٢.الظلم بمعنى الظلام والظلمة وعكس النور، ومن المعلوم أنّ النور حياة وهو أيضا يأخذنا لدلالات كثيرة ومتشعبة.

• **فلا يشمل النور أو الظلام المادي فقط بل المعنوي أيضا، أي يمكن أن يكون الظلام في الجهل، كما أنّ العلم نور، وهذه العبارة التي ألفناها كثيرا فهي الحقيقة المحضة التي تدل على النور والظلمة.**

إذن تخلُّصنا من ظلم الجهل يكون بالمعرفة، ففي كل معرفة نقترب من النور، والسؤال هنا كيف أظلم نفسي؟

يكون ظلم النفس جهلا عندما أتعامل مع قوى نفسي بإفراط أو تفريط أي: أخرج عن العدل والاعتدال في قوى نفسي، وقوى النفس التي تتطلب مني الاعتدال هي:(القوة الغضبية، والقوة الشهوية، والقوة الوهمية)، علما أن تحقق العدالة في كلّ قوة يكون بفضيلة تتوسطها، ففضيلة القوة الغضبية الشجاعة وفضيلة القوة الشهوية العفة، وفضيلة القوة الوهمية الحكمة، وكل تردد بين طرفي كلّ قوة بين الإفراط أو التفريط إنما يكون ظلماً لنفسي ولربّي وللآخرين[٨].

-**وتأتي معاني الظلم في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة**: فالدلالة اللغوية تتطابق مع ما ورد

في القرآن الكريم، فالظلم يدل على الظلام والظلمة والجور أي: خلاف النور والعدل.

وقد أشار إليها الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) في ضوء الآيات القرآنية[٩]، وما استفاده الحكماء في تقسيم أنواع الظلم:

الأوّل: ظُلْمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشّرك والنّفاق؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ سورة لقمان:١٣.

والثاني: ظُلْمٌ بينه وبين الناس، وإيّاه قصد بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الشورى:٤٠].

والثالث: ظُلْمٌ بينه وبين نفسه، وإيّاه قصد بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٞ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٞ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[فاطر:٣٢]. وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل:٤٤].

«وكلّ هذه الثّلاثة في الحقيقة ظُلْمٌ للنّفس، فإنّ الإنسان في أوّل ما يهمّ بالظُّلْمِ فقد ظَلَمَ نفسه، فإذا الظَّالِمُ أبدا مبتدئ في الظُّلْمِ، ولهذا قال تعالى في غير موضع: ما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»[١٠].

-وثمّة تقسيم ثانٍ لظلم النفس ويذكر لنا القرآن الكريم بذلك شواهد فمنه قوله تعالى على لسان نبيه يونس (عليه وعلى نبينا وآله السلام): ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧].

وهنا تأتينا هذه الآية بتوضيح لظلم النفس في القوة الغضبية في طرف الإفراط، فالآية حاكية لنا عن حالة الغضب الإنساني تأخذه للخروج عن الاعتدال في قوته الغضبية ودخوله في ظلم نفسه، بل أكثر من ذلك فظلم النفس هنا يأخذ به لظلمات ثلاث أشارت لها الآية المباركة ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾، وهذه الظلمات الثلاث هي:

ظلمة الجهل، وظلمة ظلمي لنفسي، وظلمة الاحتجاب عن إمام الزمان (عجل الله فرجه)، فعدم المعرفة واليقظة لهذا الظلم يوقعنا في كلّ لحظة في ظلمات الجهل، فعندما يميل الإنسان من الصدق إلى الكذب فقد دخل هذه الظلمات الثلاث، ولذلك صرّح لنا القرآن الكريم على لسان النبي يونس(عليه وعلى نبينا وآله السلام) قوله: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [11]، فنجد الآية التي تليها تبين إجابة الله تعالى لدعوته واعترافه بالظلم في قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨٨ ﴾[الأنبياء:٨٨]، فحصل على استجابة الله ونجاته من الظلمات والغم الذي وقع به، وهذه النجاة والمساعدة الإلهية متاحة في كلّ زمان ومكان وبأي موضوع يقع به الإنسان، وعليه فقد أصبح الذكر اليونسي وردا مجربا، ودواءً نافعا، حتى نسب إلى من أرشدنا إليه نبي الله يونس (عليه وعلى نبينا وآله السلام).

•وعليه يمكن تقسيم ظلم النفس بلحاظ العقيدة والشريعة والأخلاق على النحو الآتي:

١.ظلم النفس العقائدي.

٢.ظلم النفس الشرعي.

٣.ظلم النفس الأخلاقي.

١.**الظلم العقائدي**: هو اتباع غير أولياء الله وأنبيائه (صلوات الله عليهم) إذ إنّ الشرك ظلم للنفس على صعيد المعتقد، والخروج من ظلم النفس العقائدي يكون بالخروج من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وقد عبّر القرآن الكريم عن الكفر

بالظلم، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤].

ولذلك تتبين لنا أن الحكمة الإلهية من بعثة الأنبياء وإرسال الرسل عليهم السلام هي تخليص الناس من قيود النفس والتحرر من ظلم النفس، فقد جاؤوا ليحرروا الناس من جورهم على نفوسهم، وهذا ما دلنا عليه النبي يونس عليه السلام، ونصح به لقمان الحكيم ابنه حين قال له: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣][١٢]، فالشرك عبّر عنه القرآن الكريم بالظلم العظيم، وهو ظلم النفس بحرفها عن مسارها الصحيح، وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٥٧]، وهذه الآية تبين لنا الاعتقاد الحقيقي والعقيدة الحقّة، ولذلك ترك الولاية والصراط المستقيم كما يوضح القرآن الكريم هو ظلم للنفس ويحصل باتباع غير ما أوصى به الله والميل عن أولياء الله وما أرسل به الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم جميعا).

٢.**ظلم على الصعيد الشرعي** عرّفه الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) صاحب التعريفات **والظلم «في الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد»**[١٣]، وهذا التعدي قد يكون في الشريعة على النفس كظلمها بعدم فعل ما ينفع النفس ويدفع عنها ما يوجب ذلتها ومهانتها أو أذيتها، والجور عليها بتحميلها ما لا تطيق، وخلاف الظلم الشرعي يكون بأخذ النفس إلى ما يحقق لها نور العمل والسلوك الصحيح الذي أوصى به الأئمة (صلوات الله عليهم).

٣.**الظلم الأخلاقي**، ويتحقق عندما يظلم الإنسان نفسه بظلم الآخرين بالتعدي

على حقوقهم والتجاوز عليهم، وتارة يكون الظلم على النفس بعدم اتباع الشريعة في ترك المحرمات والعمل بالواجبات، **وتارة أخرى يتحقق الظلم على المظلوم بقلة الناصر** فيمكن ألا يكون أحدنا ظالما بالفعل، لكنه حقق الظلم على المظلوم بعدم النصرة وهذا المعنى نقرأه في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الاعتذار من تبعات العباد:» **اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره**»[١٤]، وفي هذا المقطع الأول من الدعاء يعلمنا الإمام أدب نصرة المظلوم، فضلا عن عدم ظلم النفس بتعريض الآخرين للظلم، وإن صدر هذا فباب التوبة والاعتذار مفتوح للعباد، وهذا ما يذكرنا من إطلاق العبارة التي نقرأها في مضامين الأدعية والزيارات، أن يكون الإمام مظلوماً بقلة الناصر، في **زيارة الناحية المقدّسة** «**السَّلامُ عَلى المَظْلُومِ بِلا نَاصِرِ**»[١٥]، وهذا ما كان مع إمام الحسين عليه السلام المظلوم بقلة الناصر، وظلم الآخرين هو ما سيكون محل البيان والتحليل في دعاء الإمام الهادي عليه السلام دعاء المظلوم على الظالم.

•ومن حكم الإمام الهادي عليه السلام: في ذكر الظالم:" **إنّ الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه**»[١٦].

-قوانين العفو وظلم النفس:

تجدر الإشارة أن قوانين حياتنا تفعل علينا في قانون الجذب، وهذا يؤكد أنّ ما نؤمن به سيتحقق، والقانون الذي ينفع الإنسان في رفع الظلم عن نفسه هو العفو، وتتصل معه قوانين أخرى وهي:

١.قانون العفو.

٢.قانون العقوبة.

٣.قانون العدل.

وقانون العفو: إنّ قانون العفو يتحقق عندما يعفو الإنسان عن نفسه ويحررها من ظلمها وقيودها التي قيّد نفسه بها، بعبارة أخرى نقول: إن عفوت عن نفسك عفا الله عنك، وهذا ما يذكرنا بكربلاء بقول الإمام الحسين ﷺ مع الحرّ الرياحي حين قال له الحرّ: هل لي من توبة، فأجابه الإمام الحسين ﷺ (صلوات الله عليه): إن تبت تاب الله عليك. ويبعدها عن العقوبة بطلب العفو لنفسه، إذ يتطلب من كلّ إنسان ساع للخروج من ظلم نفسه أن ينتقل لقانون العفو، ولا يظلم نفسه بأن يعرضها للتشدد ويطلب لها العقوبة، بل إن طلب العقوبة للطرف الثاني وهو الظالم باعتقاده قد يكون هو الظالم لنفسه فظهر الظالم انعكاسا له؛ ليفهم ذلك، وعليه إنّ الانتقال لقانون **العفو وهو العفو عن النفس من الآلام التي يخزنها المرء في نفسه ستجعل منه عادلا في التصرف وخارجا عن ظلم نفسه بعدالته، وهذا لايمنعه من المطالبة بحقّه، وهذا ما أشار إليه الإمام السجاد ﷺ في دعائه:(واجعل لي يدا على من ظلمني..)**، بلحاظ طلب الحقّ لا الانتقام والوقوع في ظلم النفس بإفراط القوى الغضبية.

فقد جعل الله العفو من أقرب الطرق للتقوى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[البقرة:٢٣٧]، وقد أشار القرآن الكريم إلى خلاف الظلم بمعنى آخر وهو النصر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[الشورى:٤١-٤٣].

ونلمح في الآيات السابقات بؤرة دلالية متناوبة بين لفظتي الظلم والنصر في الآيات(٣٨-٤٥) من سورة الشورى، وتتوازى النصوص القرآنية في ذكر العفو في قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾، **فقد جعل الله أعزم الأمور الصبر**

والتسامح عفوا عن الظالمين، فضلا عن عفو الظالم على نفسه، ويتحقق العفو عن النفس عندما يتحرر الإنسان عن الظلم والخروج عن العدل والوقوع في ظلمات الظلم.

ونقرأ في الدعاء عن العفو، في قول الإمام السجاد عليه السلام: (فيا من رباني في الدنيا بإحسانه وتفضله ونعمه وأشار لي في الآخرة إلى عفوه وكرمه)...وطلب العفو: (... وتصدّق عليّ بعفوك...واعف عن توبيخي بكرم وجهك...)[١٧].

وأمّا قانون العقوبة فالإنسان يوقع نفسه بالظلم عندما يقرر لنفسه أنّه مستحق للعقوبة، ولا ينتبه أنّ رحمة الله متحققة إن جذبها لنفسه وانتقل لقانون العفو، لذلك نجد القرآن الكريم على لسان الداعي ألّا يجعله في فئة الظالمين قوله تعالى: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المؤمنون:٩٤]، وكذلك نطلب من الله رفع العقوبة عنّا في أول دعاء أبو حمزة الثمالي:(اللهم لاتؤدبني بعقوبتك....)، ونجد القرآن يشير تارة إلى جزاء الظالمين كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة:٢٩]، وتارة أخرى يأتي التعبير بعد صدور العقوبة على إقرار الظالمين بظلمهم نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[الأعراف:٥]، وتارة يضرب الله عقوبة الظالمين مثالا تحذيريا، كقوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[يونس:٣٩].

وقانون العدل: نجد الإشارة إلى العدل في حساب العباد على ظلمهم، في حال أجرى عليهم عدله في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[النحل:٦١]، وهذا ما يصعب احتماله، لأنّ محاسبة الله برحمته

هو ما نرجوه، ونتعلمه في مفاهيمنا الدينية نسأل الله أن يحاسبنا برحمته لا بعدله، ونجد الإشارة إلى هذا المعنى في دعاء الحزين: (ومن ينطق لساني إذا خلوت بعملي، وسألتني عما أنت أعلم به مني، فان قلت نعم **فأين المهرب من عدلك**، ...)، ويمكن توضيح هذا القانون مع ظلم النفس، بأنّ الإنسان إذا طلب من الله أن يحاسب الظالم بعدله فإن سريان هذا القانون سيكون عليه وعلى غيره، وهكذا.

-الاعتراف بظلم النفس:

لقد أشار القرآن الكريم إلى اعتراف الإنسان بظلم نفسه في آياتٍ كثيرة، وهذا الاعتراف يؤكد بأنّ الإنسان قد أوقع نفسه بظلام الجهل والجور عندما خرج عن عدالة القوى النفسانية الأربعة ومال عن فضائلها، ووقع بظلمة الجهل، ونقرأ هذه الاعترافات بظلم النفس أو الآخرين في سياقات النصوص القرآنية الآتية:

١.ما جاء الاعتراف على لسان المفرد (المتكلم) (**ظلمتُ**) على لسان بلقيس، قال تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل:٤٤]، وقوله تعالى على لسان النبي موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام): ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[القصص:١٦].

٢.ما جاء الاعتراف على لسان المثنى (المتكلمين) (**ظلمنا**) لطلب المغفرة: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف:٢٣].

٣.ما جاء اعترافا على لسان الأنبياء ليكون لنا درسا إرشاديا، في أنّ ظلم النفس يقع فيه كل إنسان حين يقع في إفراط القوة الغضبية، قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ

إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧]، إذن لا يغادرنا الذكر اليونسي (**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**) اعترافا بظلم النفس.

٤.ويأتي الإقرار بالظلم اعترافا إذا تحقق العود لما سبق، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾[المؤمنون:١٠٧]، فقد جاءت سياق الآيات السابقات في محل اعتراف فئة بعد حوار جرى بينهم وبين ربّهم.

٥.ويأتي الاعتراف بظلم النفس حين يرى الناس العذاب واقعاً بهم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء:٤٦].

٦.ويعترف الكافرون بظلمهم لأنفسهم بغفلتهم بل تأكيدهم لظلمهم لأنفسهم لانحرافهم عن المسار العقائدي الصحيح لوقوعهم الظلم ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[القلم:٢٩].

وثمّة اعتراف فئة من الذين ظلموا أنفسهم بالانتقال إلى ما يحقق التوبة والاعتراف وطلب العفو:

•قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران:١٣٥].

•وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾[النساء:٦٤]، ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[النساء:١١٠]

•وقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة:٣٩].

المطلب الثاني: تحليل دعاء المظلوم على الظالم للإمام الهادي عليه السلام:

أولا: أحداث الدعاء ومضامينه العامة:

كان لهذا الدعاء أحداث قبل إطلاقه من لدن الإمام (صلوات الله عليه)، فقد كانت أحداثه على النحو الآتي:

١.ورد الدعاء منقولاً عن زرافة حاجب المتوكل وقد كان زرافة ممن يوالون الإمام الهادي عليه السلام، وكذلك ورد الدعاء منقولا بطرق أخرى.

٢.أمر المتوكل «أن يزينوا بأحسن تزيين ويظهروا بأفخر عددهم وذخائرهم..» حتى يبين حظوة الفتح بن خاقان وقربه منه.

٣.أن يكون الجميع مشاة إلا هو والفتح بن خاقان...

٤.كانت أحداث هذا الدعاء تدور في سرّ من رأى (سامراء).

٥.كان من جملة الأشراف الذين أمر المتوكل بوجودهم هو إمامنا الهادي عليه السلام.

ومع هذه الظروف فقد شقّ على الإمام الهادي عليه السلام ما لاقاه من الحرّ والزحمة.

قال زرافة: «**فأقبلت إليه –يقصد مولانا الهادي–وقلت له: يا سيدي يعز والله عليّ ما تلقى من هذه الطغاة، وما قد تكلفته من المشقة، وأخذت بيده فتوكأ عليّ وقال: يا زرافة ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني أو قال: بأعظم قدرا مني، ولم أزل أسائله وأستفيد منه، وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب، وأمر الناس بالانصراف .**»[١٨]

من النص المتقدم للدعاء نجد مسائل كثيرة، فضلا عن إشارات الإمام عليه السلام في ذكره

لناقة صالح وتحليل المؤدب الفطن وإشارة الأيام الثلاث، يقول زرافة: « ولولدي مؤدب يتشيع من أهل العلم والفضل، وكانت لي عادة بإحضاره عند الطعام، فحضر عند ذلك وتجارينا الحديث، وما جرى من ركوب المتوكل والفتح، ... وما سمعته من قوله « ما ناقة صالح عند الله بأعظم قدرا مني ».

«وكان المؤدب يأكل معي فرفع يده وقال: بالله إنك سمعت هذا اللفظ منه؟ فقلت له: والله إني سمعته يقوله، فقال لي: اعلم أن المتوكل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام، ويهلك، فانظر في أمرك وأحرز ما تريد إحرازه وتأهب لأمرك كي لا يفجؤكم هلاك هذا الرجل فتهلك أموالكم بحادثة تحدث أو سبب يجري. فقلت له: من أين لك ذلك؟ فقال: أما قرأت القرآن في قصة صالح والناقة وقوله تعالى: « تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب» (١٩)

وذكر الإمام أنّ هذا الدعاء الذي دعا به من كنوز آبائه (صلوات الله عليهم) وذكر اسم الدعاء بقوله عليه السلام: **«هو دعاء المظلوم على الظالم»**

وهنا أشار الإمام إلى كنوز توارثها ومنها اختياره لهذا الدعاء دون غيره، فما كان من زرافة أن طلب واستسمح من الإمام أن يعلمه إياه إن رأى ذلك، وهو أوله: « **اللَّهُمَّ إِنِّي وَفُلَانَ بْن فُلَانٍ عَبْدَانِ مِنْ عَبِيدِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنَا وَمُسْتَوْدَعَنَا وَتعلمُ مُنْقَلَبَنَا وَمَثْوَانَا وَسِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَطَّلِعُ عَلَى نِيَّاتِنَا وَتُحِيطُ بِضَمَائِرِنَا....**»(٢٠).

• نأتي الآن إلى بيان المضامين التي حواها الدعاء قبل الخوض في تحليله اللغوي والدلالي، والمقاطع التي تحول بها الإمام في الطلب والمسألة لله تعالى، مع بيان أدب الدعاء..

١ .ابتدأ الدعاء بأجمل عبارة يذكر الإمام عليه السلام فيها مقام العبودية وينتقل إلى الثناء على الله بأنه عالم بحال العباد.

٢.علم الله بعباده وما جرى وإحاطته تعالى بضمائرهم وسرهم وعلانيتهم، كما ينتقل الإمام إلى الالتجاء إلى الله بطلب المعونة وطرح الطلب بما قد جرى عليه من الظالم، الذي لا يمتنع بسلطانه عن الله، والله مدركه أين ما سلك.

٣.ينتقل الدعاء إلى ذكر علم الله السابق وقضائه وقدره وحكمه ومشيئته في خلقه أجمعين أن جعل (لفلان بن فلان) قدرة على الظلم ببغيه وتجبره وطغيانه لحلم الله عنه.

٤.ثمّ ينتقل الدعاء على لسان الداعي طالبا متعرضا للإجابة وشاكيا أحواله إلى ربّه ملتمسا النظر في الوقوف على ما جرى عليه من الظالم.

ثانيا: تحليل دعاء المظلوم على الظالم للإمام الهادي عليه السلام:

(اللَّهُمَّ إِنِّي وَ فُلَانَ بْن فُلَانٍ عَبْدَانِ مِنْ عَبِيدِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنَا وَ مُسْتَوْدَعَنَا وَ تَعْلَمُ مُنْقَلَبَنَا وَمَثْوَانَا وَسِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَطَّلِعُ عَلَى نِيَّاتِنَا وَتُحِيطُ بِضَمَائِرِنَا عِلْمُكَ بِمَا نُبْدِيهِ كَعِلْمِكَ بِمَا نُخْفِيهِ وَ مَعْرِفَتُكَ بِمَا نُبَطِّنُهُ كَمَعْرِفَتِكَ بِمَا نُظْهِرُهُ لَا يَنْطَوِي عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا وَ لَا يَسْتَتِرُ دُونَكَ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِنَا وَ لَا لَنَا مِنْكَ مَعْقِلٌ يُحْصِنُنَا وَلَاحِرْزٌ يُحْرِزُنَا وَ لَا مَهْرَبَ لَنَا نَفُوتُكَ بِهِ وَ لَا يَمْنَعُ الظَّالِمَ مِنْكَ سُلْطَانُهُ وَ حُصُونُهُ وَلَا يُجَاهِدُكَ عَنْهُ جُنُودُهُ وَ لَا يُغَالِبُكَ مُغَالِبٌ بِمَنَعَةٍ وَ لَا يُعَازُّكَ مُعَازٌّ بِكَثْرَةٍ أَنْتَ مُدْرِكُهُ أَيْنَ مَا سَلَكَ وَ قَادِرٌ عَلَيْهِ أَيْنَ لَجَأَ فَمَعَاذُ الْمَظْلُومِ مِنَّا بِكَ وَ تَوَكُّلُ الْمَقْهُورِ مِنَّا عَلَيْكَ وَ رُجُوعُهُ إِلَيْكَ يَسْتَغِيثُ بِكَ إِذَا خَذَلَهُ الْمُغِيثُ وَ يَسْتَصْرِخُكَ إِذَا قَعَدَ عَنْهُ النَّصِيرُ وَ يَلُوذُ بِكَ إِذَا نَفَتْهُ الْأَفْنِيَةُ وَ يَطْرُقُ بَابَكَ إِذَا غُلِّقَتْ عَنْهُ [دُونَهُ] الْأَبْوَابُ الْمُرْتَجَةُ يَصِلُ إِلَيْكَ إِذَا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ الْغَافِلَةُ تَعْلَمُ مَا حَلَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْكُوَهُ إِلَيْكَ وَ تَعْرِفُ مَا يُصْلِحُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَكَ لَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ سَمِيعاً بَصِيراً عَلِيماً لَطِيفاً قَدِيراً...)[٢١].

افتتح الإمام الهادي عليه السلام الدعاء بالإنشاء الطلبي بأسلوب النداء بلفظة (**اللهمّ**) التي

يعدّها اللغويون والبلاغيون تمثل النداء بكلّ أسماء الله، فضلا عن تعويضها بالميم المشددة عن ياء النداء في (يا ألله)[٢٢]، فضلا عن القول بكونها منحوتة كما قال الكوفيون، وعليه فإنّ مجيء لفظة (اللهمّ) إنّما يدل على الإنشاء الطلبي بأسلوب النداء المشعر بالدعاء على وفق المعاني البلاغية التي نجدها في علم المعاني، وهذا ما نلحظه في استعمال لفظة دون أخرى فلم يكن الدعاء مبدوءًا بلفظ الجلالة (الله) أو (الهي) أو (ربّي).

(**إِنِّي وَ فُلَانَ بْنُ فُلَانٍ عَبْدَانِ مِنْ عَبِيدِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ...**) انتقل الإمام ﷺ في دعائه إلى الأسلوب الخبري مؤكدا بـ(أنّ) ليكون طلبيا ليؤدي غرضا بلاغيا لفائدة الخبر فالله تعالى عالم بكلّ شيء، لكن بدأ الإمام بتحديد طلبته بهذا الخبر ليؤكد ما لاقاه من الظلم من (فلان..)، وأمّا لفظة (**فلان بن فلان**) فهي من الاستعمالات اللغوية والبلاغية لتكون كناية عن اسم حقيقي لا يريد المتكلم إعلانه، قال ابن سيدة (ت٤٥٨هـ): « فُلَانٌ وَفُلَانَةُ كنايَةٌ عن أَسماءِ الآدَمِيينَ والفُلَانُ والفُلَانَةُ كنايةٌ عن غيرِ الآدَمِيينَ تقولُ العَرَبُ رَكِبْتُ الفُلَانَ وحَلَبْتُ الفُلَانَةَ وقولُهُ تعالى ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾[الفرقان:٢٨]» [٢٣]، فكان التعبير القرآني باستعمال فلانا كناية عن الشيطان بدليل الآية اللاحقة في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾[الفرقان:٢٩]، ثمّ عرّف الإمام ﷺ بكليهما –نفسه وفلان– بأنهما (عبدان) انطلاقا من النص القرآني في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾[مريم:٩٣]، أي: العبد الشقي والسعيد كلاهما شاخص أمام الله عزّ وجلّ، بدليل الآية المباركة، ومعنى العبد في اللغة يؤدي صيغة طلبية معنوية في الدعاء لإظهار التذلل لله وحده فضلا عن عودة كل العباد ومآلهم لله لإنّه واجدهم في هذه العوالم[٢٤]، وقوله ﷺ: (**نَوَاصِينَا بِيَدِكَ**) فهي مصداقٌ لقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا

مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٦ ﴾[هود:٥٦]، والناصية هي « قُصاصٌ من الشَّعَر»[٢٥]، والمعنى المأخوذ من النواصي وأنها بيد الله كناية عن التمكن والغلبة[٢٦]، ممّا تقدم نلمح الاقتباس للمضامين القرآنية في الدعاء كما صوره الإمام الهادي (صلوات الله عليه) في أول الدعاء.

ثمّ تنتقل لغة الدعاء إلى الجمل الفعلية الخطابية مع الله تعالى: التي تتألف من:

- فعل مضارع+ ضمير مستتر تقديره أنت+ مفعول به+ أداة عطف+اسم معطوف.
- **تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنَا وَ مُسْتَوْدَعَنَا**
- **وَتَعْلَمُ مُنْقَلَبَنَا وَمَثْوَانَا وَسِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا**
- ومن المعلوم دلالة الجملة الفعلية على الحدوث والتجدد فضلا عن دلالة الفعل (**تعلم**) المتمثل بالإحاطة الإلهية على جميع العباد، فيؤكد النص علم الله الأزلي في (**مُسْتَقَرَّنَا وَ مُسْتَوْدَعَنَا**) آخذا ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾[الأنعام:٩٨]، فالفعل (قرّ) يدل على معنى ثبات الشيء[٢٧]، قال ابن عباس (ت٦٨هـ):"(فَمُسْتَقَرٌّ) فِي الْأَرْحَام (وَمُسْتَوْدَعٌ) فِي الأصلاب»[٢٨]، ولهذا المعنى ذهب صاحب الميزان أيضا بأنّ الأرض ستكون المستقر لمن ولد وتلبس بحال الولادة، ومن لم تجر عليه هذه الحالة فهو بحال الوديعة والمستودع في الأرحام والأصلاب[٢٩]، وعليه يفهم من هذه العبارات في الخطاب الدعائي معاني الثناء والتمجيد بعلم الله في كل الأحوال والنشآت.
- **وَتَعْلَمُ مُنْقَلَبَنَا وَمَثْوَانَا وَسِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا**.

تكرر الفعل في الجملتين المعطوفتين بخطاب الله وعلمه بـ(**مُنْقَلَبَنَا وَ مَثْوَانَا وَ سِرَّنَا وعَلَانِيَتَنَا**) يفهم من كلام أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) من الانقلاب إلى

حال غير الأول ونقيضه[٣٠]، وعليه فتقلب الحال يأتي أيضا بمعنى الانصراف لوجه آخر[٣١]، وعليه فتضاد اللفظة مع المنقلب وهي (**مثوانا**) لتدل على معنى "الإقامة والاستقرار"[٣٢]، وكذا التضاد بين لفظتي (**سِّرنَا وَعَلَانِيَتَنَا**) وهي اقتباس قرآني لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[التغابن:٤] .

- **وَتَطَّلِعُ عَلَى نِيَّاتِنَا**
- **وَتُحِيطُ بِضَمَائِرِنَا.**

وهاتان الجملتان المتوازيتنان متعلقتان بالجمل الفعلية آنفة الذكر، فالعلم صفة ذاتية متعلقة بالله تعالى، وكذا الأمر بعلم الله واطلاعه على مكنون النفس الإنسانية ونيته المستور عن لواحظ الفكر والعيون ومستترة في حواجب القلب والغيوب، ولا يتوقف أمر النية على كونها مراد المرء في أمر ما، وهنا لا يطلع على صدقها وإخلاصها إلا الله تعالى، فقد يكون الإنسان بجهله وعدم إدراكه لخلوص النية وصدقها في حال التحقق بل إنها من المسائل المستورة عنه أصلا، ولا يحيط بها

- **عِلْمُكَ بِمَا نُبْدِيهِ كَعِلْمِكَ بِمَا نُخْفِيهِ**
- **وَمَعْرِفَتُكَ بِمَا نُبَطِّنُهُ كَمَعْرِفَتِكَ بِمَا نُظْهِرُهُ**

هاتان جملتان اسميتان ودلالة الجملة الاسمية على الثبات والدوام ترتبط بمعاني الجمل الفعلية السابقة في علم الله ومعرفته بحال عبده الداعي وهنا جملتان متقابلتان في كلّ جملة تضاد في الأفعال (**نبديه– نخفيه**) و(**نبطنه– نظهره**)، وثمّة فرق بين العلم والمعرفة، ولكننا نحتاج للتأمل في المصطلحين، وهذه المعرفة غير العلم النظري الذي نقرأه في الكتب، ولكن هناك مصطلح العلم ومصطلح المعرفة فما الفرق بين العلم والمعرفة؟ بعبارة مبسطة ونأخذ مثالا للتوضيح:

تقول علمت بالفكرة....-

وتقول عرفت الفكرة...-

فالعلم هو الصورة التي ترتسم في ذهن الإنسان، وهو « هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع»[٣٣]، والمعرفة هو تطبيق الصورة على ما هو مخزون في النفس، « إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم»[٣٤]، كذلك نجد التشبيه بين حال العلم بالفعلين بعلم الله لعبده بما يبديه ويخفيه، وكذا الحال في علمه تعالى بباطن العبد وظاهره، وهذه إشارات دقيقة جدا.

- **لَا يَنْطَوِي عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا**
- **وَلَا يَسْتَتِرُ دُونَكَ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِنَا**
- **وَلَا لَنَا مِنْكَ مَعْقِلٌ يُحْصِنُنَا**
- **وَلَا حِرْزٌ يُحْرِزُنَا**
- **وَلَا هارب يفوتك منّا**
- **وَلَا يَمتنعُ الظَّالِمَ مِنْكَ بسُلْطَانُهُ**
- **وَلَا يُجَاهِدُكَ عَنْهُ جُنُودُهُ**
- **وَلَا يُغَالِبُكَ مُغَالِبٌ بِمَنَعَةٍ**
- **وَلَا يُعَازُّكَ [مُتَعَزِّزٌ] بِكَثْرَةٍ.**

• هنا تتوالى تسع جمل متوازية في التركيب منفية بأداة النفي (لا) الدالة على نفي الحاضر والمستقبل، بدخولها على الفعل المضارع في ستٍ منها، وفي الثلاث الأخر بدخولها على الأسماء، ونلحظ في الجملتين الأوليين تعلقاً بمعنى ما تقدّم في سياقات الجمل الاسمية والفعلية التي أشارت إلى علم الله بعباده، وهنا جاء سياق نفي استتار أحوالنا وخفاء أمورنا عن ربّ الأرباب، في قوله عليه السلام: (**لَا يَنْطَوِي عَنْكَ شَيْءٌ**

مِنْ أُمُورِنَا، وَلَا يَسْتَتِرُ دُونَكَ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِنَا).

• ثم انتقل السياق إلى الجمل الثلاث المختلفة في دخول لا النافية ولكن اختلف بدخولها كما في باقي الجمل على الفعل المضارع، وهي في قوله صلوات الله عليه:

• **وَلَا لَنَا مِنْكَ مَعْقِلٌ يُحْصِنُنَا**

• **وَلَا حِرْزٌ يُحْرِزُنَا**

• **وَلَا هارب يفوتك منّا**

• ففي الدلالة المعجمية للفظة (**معقل**) قال صاحب الصحاح: "والمَعْقِلُ: الملجأ، وبه سمِّي الرجل"[٣٥]، وقد تقدّمت شبه الجملة على الاسم والفعل لتأكيد النفي أنه لا ملجأ للعباد إلا هو، ولا حصن يُلجأ إليه إلا هو، وأما نوع لا في هذه الجملة فهي نافية مهملة فقد بطل عمل لا نافية للجنس لوجود الفاصل بينها وبين اسمها، فشبه الجملة (**لنا**) من لام الجر+ضمير نا المتصل في محل رفع خبر مقدم، و(**معقل**) مبتدأ مؤخر، فتكون لا مهملة ويصح النفي بها، ولكنها لا تعمل عمل إنّ الناسخة.

• وعليه تكون (لا) في الجملة اللاحقة لها زائدة للتوكيد في قوله عليه السلام: (**وَلَا حِرْزٌ يُحْرِزُنَا**)، والحرز: قال الخليل (ت١٧٠هـ) «ما أحرزت في موضع من شيء، تقول: هو في حِرْزي. واحتَرَزْتُ من فُلانٍ»[٣٦]، كما ورد الجناس الاشتقاقي في هذه العبارة (ولا حرز يحرزنا) في اجتماع اللفظين من أصل واحد في الاشتقاق، فضلا عن القيمة الدلالية لجرس اللفظ وانسجامه مع معناه اللغوي لتأدية المعنى متساوقا مع لفظه.

• **وَلَا هارب يفوتك منّا**

يبدو أن تعلق الجمل ببعضها بالمعنى والاشتراك بحكم لا الزائدة قد تكرر في

هذه الجملة أيضا، وكذا نلمح المعنى الدلالي المتتابع مع الجملتين السابقتين وكأن التعبير يريد أنّ (لا معقل ولا حرز ولا مهرب...) من سطوة الله..

• ثمّ ينتقل السياق في الجمل المنفية في ذكر خطاب المظلوم مع الله إلى ذكر الظالم حتى يكتمل لدينا مثلث الدعاء الدلالي وهو الداعي (المظلوم)، والمدعو (الربّ)، والمدعو عليه وهو (الظالم)، وهنا يستحضر الداعي الإشارات الدلالية للظالم في قوله عليه السلام:

• **لَا يَمتنعُ الظَّالِمَ مِنْكَ بسُلْطَانهُ**

• **وَلَا يُجَاهِدُكَ عَنْهُ جُنُودُهُ**

• **وَلَا يُغَالِبُكَ مُغَالِبٌ بِمَنَعَةٍ**

• **وَلَا يُعَازُّكَ [مُتَعَزِّزٌ] بِكَثْرَةٍ.**

• فدخول الظالم في سياق هذه الجمل الأربعة في تواز تركيبي تام وهو على النحو الآتي:

• واو عاطفة+ لا نافية غير عاملة+ فعل مضارع+ جار ومجرور أو اسم

ونلمح في النص المعاني الدلالية المشعرة بقوة الله على رفع الظلامة، ولكن الله سمح لهذا الظلم بالحصول لحكمة كما نقرأ في دعاء آخر للإمام الهادي عليه السلام " **وَحَلَّ بِي مِنْهُ مَا بَهَظَنِي حَمْلُهُ وَ بِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيَّ فَلَا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ وَ لَا مُيَسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ وَلَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ وَ لَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ وَ لَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ وَ لَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ إِلَّا أَنْتَ**"(٣٧).

• و نجد في الجملة المنفية في الدعاء معنى دلاليا غير مألوف في استعمال الدلالة المعكوسة في (**وَلَا يُجَاهِدُكَ عَنْهُ جُنُودُهُ**) فالمعلوم أنّ الجهاد يصدر من أهل الحق لا الباطل فجاء به المعنى على سياق النفي في ذكر الظالم، فالجهاد يكون من أمر شاق

والمجاهدة بمعنى المقاتلة[٣٨]، وهذا ما يفعله الظالم في ظلم نفسه إنّه يحارب الله!!! فكيف بمن يمرّ بهذا الظلم منّا؟!

• وهنا يمكن لنا أن نستظهر من هذه العبارة أن ظلم الإنسان نفسه قد يجره إلى الاتحاد مع جنود الجهل والشيطان فيكون ظلوما جهولا فيتحد مع أي جندي جهل كالكذب مثلا فهو بذلك يظلم نفسه ويجاهد ربّه حربا بدل أن يجاهد نفسه وجهله ويحرر نفسه من قيود الظلم والجهل.

• لكن الإمام صلوات الله عليه يضع لنا جمل البشرى بنفي الكلام تماما حاضرا ومستقبلا بعدم تمكن الظالم وجنوده على غلبة الحق مهما بلغوا...، كما يدل الكلام اللاحق على هذه المعاني إذا يقول عليه السلام:

• **وَلَا يُغَالِبُكَ مُغَالِبٌ بِمَنَعَةٍ**

• **وَلَا يُعَازُّكَ مُتَعَزِّزٌ بِكَثْرَةٍ.**

وهنا برزت هذه المعاني في حصيلة الظالم والمظلوم والحق والباطل والخير والشرّ فإنّ المجاهدة ستكون أولا وآخرا نصرا لأهل الحق وأتباعه، فجاء الجناس الاشتقاقي مكررا في هاتين الجملتين (**يُغَالِبُكَ مُغَالِبٌ**) و(**يُعَازُّكَ مُتَعَزِّزٌ**)، وقد أدى هذا الجناس معنى دلاليا بتكراره مرتين فلا غلبة ولا عزة للظلم والظالم، والنتيجة التي تنتظر الظالم هي الخطاب التي أطلقه الإمام عليه السلام لله تعالى:

• **أَنْتَ مُدْرِكُهُ أَيْنَ مَا سَلَكَ**

• **وَقَادِرٌ عَلَيْهِ أَيْنَ لَجَأَ**

• وهنا مع انتقال الخطاب لله عزّ وجلّ فقد تغيّر التركيب أيضا ليؤدي دلالة سياقية جديدة مؤكدة الخطاب بالضمير المخاطب المنفصل (**أَنْتَ**)، وخبره لفظة (**مُدْرِكُهُ**) أي: الظالم، فهو تحت حياطة الله أين ما سلك ولجأ فلا مهرب له يخرجه عن هذه الحدود.

• فَمَعَاذُ الْمَظْلُومِ مِنَّا بِكَ

• وَتَوَكُّلُ الْمَقْهُورِ مِنَّا عَلَيْكَ

• وَرُجُوعُهُ إِلَيْكَ

• والعوذ في اللغة بمعنى الملجأ، فملجأ المظلوم هو الله لا محال، وهذا ما يؤكده الإمام، وهنا جاء الخطاب باللفظ الصريح لعنوان الدعاء ألا وهو (المظلوم)، فانتقل الخطاب بالالتفات من لسان الداعي المتكلم إلى الغيبة بذكر صفة المظلوم، فبدأت جملة استئنافية ابتدائية، لتشير إلى ملجأ المظلوم لله تعالى، وهكذا في توكل المقهور ظلما بتقديم ملفه لله، وكذا حال رجوعه لربّ العباد لا غير.

• يَسْتَغِيثُ بِكَ إِذَا خَذَلَهُ الْمُغِيثُ

• وَيَسْتَصْرِخُكَ إِذَا قَعَدَ عَنْهُ النَّصِيرُ

• وَيَلُوذُ بِكَ إِذَا نَفَتْهُ الْأَفْنِيَةُ

• وَيَطْرُقُ بَابَكَ إِذَا أغلقَتْ دُونَهُ الْأَبْوَابُ الْمُرْتَجَةُ

• يَصِلُ إِلَيْكَ إِذَا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ الْغَافِلَةُ

• الجمل الفعلية المتقدّمة تصف حال المظلوم الملتجئ لربّه فنلاحظ التوازي التركيبي في الأفعال المضارعة التي تخاطب الحضرة الإلهية وتتوجه إليه بالطلب والتعرض للإجابة:

• فعل مضارع+ كاف الخطاب للربّ+ إذا الشرطية+ فعل ماض+هاء غيبة المظلوم+ فاعل+...

• فالمظلوم: (**يستغيث، يلوذ، يطرق، يصل**)، وهو موقنٌ بأن الله تعالى عالم بحاله فيقول مخاطبا:

• تَعْلَمُ مَا حَلَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْكُوَهُ إِلَيْكَ

• **وَتَعْرِفُ مَا يُصْلِحُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوكَ لَهُ**

• **فَلَكَ الْحَمْدُ سَمِيعاً بَصِيراً عَلِيماً لَطِيفاً قَدِيراً**

• فالخطاب لله تعالى (تعلم، تعرف)، بحاله قبل الشكوى، وصلاحه قبل الدعوة، خاتما هذا المقطع بصفات الله الجمالية والفعلية(**سَمِيعاً بَصِيراً عَلِيماً لَطِيفاً قَدِيرا**) مقدما ذلك بجملة اسمية مقدمة الخبر (فلك الحمد)، وفعل الحمد فيه الثناء والمدح لله الذي افتتح به فاتحة الكتاب.

• **اللَّهُمَّ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ وَمُحْكَمِ قَضَائِكَ وَجَارِي قَدَرِكَ وَنَافِذِ حُكْمِكَ وَمَاضِي مَشِيَّتِكَ فِي خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ شَقِيِّهِمْ وَسَعِيدِهِمْ وَبَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ أَنْ جَعَلْتَ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ عَلَيَّ قُدْرَةً فَظَلَمَنِي بِهَا وَ بَغَى عَلَيَّ بِمَكَانِهَا وَ تَعَزَّزَ وَاسْتَطَالَ بِسُلْطَانِهِ الَّذِي خَوَّلْتَهُ إِيَّاهُ وَ تَجَبَّرَ عَلَيَّ بِعُلُوِّ حَالِهِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لَهُ، وَغَرَّهُ إِمْلَاؤُكَ لَهُ وَ أَطْغَاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ...**[٣٩].

بدأ المقطع الثاني بنداء ثانٍ لله تعالى بالإنشاء الطلبي قاصدا من غرض الدعاء أن يجود عليه بتحقيق طلبته، لينتقل بذكر مسألته، مؤكدا الأسلوب الخبري بـ(أنّ، قد)، وتوازي الجمل المتعاطفة لتشترك في حكم علم الله السابق بحال المظلوم في العبارات المتراصة في دقة لفظها ومعانيها وتناغم جرسها (**سَابِقِ عِلْمِكَ وَ مُحْكَمِ قَضَائِكَ وَ جَارِي قَدَرِكَ وَ نَافِذِ حُكْمِكَ وَ مَاضِي مَشِيَّتِكَ**)، والتي كان ترتيبها النحوي:

-اسم مجرور+مضاف إليه+وهو مضاف+ضمير في محل جر بالإضافة

هذا الاطلاق لعلم الله وما قضاه وقدّره وحكمه وشاءه لخلقه أجمعين بذكر الطباق في أحوالهم (**شَقِيِّهِمْ وَسَعِيدِهِمْ وَبَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ**) وهذا استعمال قرآني اقتبسه الإمام صلوات الله عليه، من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[هود:١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس:٨]

• أَنْ جَعَلْتَ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ عَلَيَّ قُدْرَةً فَظَلَمَنِي بِهَا وَ بَغَى عَلَيَّ بِمَكَانِهَا وتَعَزَّزَ وَاسْتَطَالَ بِسُلْطَانِهِ الَّذِي خَوَّلْتَهُ إِيَّاهُ وَتَجَبَّرَ عَلَيَّ بِعُلُوِّ حَالِهِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لَهُ، وَغَرَّهُ إِمْلَاؤُكَ لَهُ وَأَطْغَاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ..

هذا ما قدّره الله على عبده وأمضاه عليه لحكمة لايعلمها، فكنى الإمام عليه السلام عن الظالم بعبارة (**فلان بن فلان**) وهنا نلحظ الفعل الدال على الجعل الإلهي(**جعلت**) لأي ظالم أن منحه (**قدرة**)، فكانت هذه القدرة في عالم السبب والنتيجة وكأنّ الداعي يقدم طلبه لله تعالى وهو العالم في علمه السابق أنّ ما جرى عليه في لوح القضاء ومجرى الحكم والمشيئة الإلهية كأنّما أراد الإمام الهادي عليه السلام فيما تقدّم أن يبين الجنبة العقائدية في كلمات قصيرة اللفظ طويلة المعنى لعقيدة الداعي ووعيه بطلبته وتعرضه للإجابة.

وهذه المنحة (القدرة) التي وهبها الله للظالم اختبارا له ولي كانت بيده فجعلها أداة (**فَظَلَمَنِي بِهَا وَ بَغَى عَلَيَّ بِمَكَانِهَا**)، فما كان منه لغفلته أنّه:

• **وتَعَزَّزَ وَاسْتَطَالَ بِسُلْطَانِهِ الَّذِي خَوَّلْتَهُ إِيَّاهُ**

• **وَتَجَبَّرَ عَلَيَّ بِعُلُوِّ حَالِهِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لَهُ،**

• توالي جملتين فعليتين لأفعال ماضية لوصف حال الظالم على المظلوم بعد أن جعل القدرة التي استطال بها فـ(تعزز واستطال، وتجبر).

• **وَغَرَّهُ إِمْلَاؤُكَ لَهُ**

• **وَأَطْغَاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ..**

وهنا بيان سبب تجبر واستطالة الظالم بأنّه اغتر بإملاء الله له غفلة منه، وأخذه على تجاوز الحد حلم الله عنه، حتى صدر بحقّ المظلوم هذه الأحوال وهي:

• **فَقَصَدَنِي بِمَكْرُوهٍ عَجَزْتُ عَنِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ**

• **وَتَعَمَّدَنِي بِشَرٍّ ضَعُفْتُ عَنِ احْتِمَالِهِ**

هنا يحكي المظلوم حاله بما جرى عليه من الظالم، فكان التعبير بالجمل الفعلية يشير الى ما وقع عليه بدلالة الفعلين:(**قصدني، تغمدّني**) فعمد إلى ياء المتكلم ليؤدي دلالة متعلقة بحال المظلوم بـ(**مكروه، شرّ**)..

- **وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الِانتصَار مِنْهُ لِضَعْفِي وَالانتصاف منه لِذُلِّي..**

جاء المتكلم معلنا عدم قدرته على الانتصار أو الانتصاف من الظالم ويبين حاله في زمن الماضي المتصل بالحاضر بدلالة أداة النفي (لم)، وعليه فإن طلبته في الدعاء وتعرضه للإجابة بين يدي الله سبحانه في الزمن المتصل بالحاضر والمستقبل القريب بأن يأتي النصر من الله لكشف ذلته.

- **فَوَكَلْتُه إِلَيْكَ وَتَوَكَّلْتُ فِي أمره عَلَيْكَ وَتَوَعَّدْتُهُ بِعُقُوبَتِكَ وَحَذَّرْتُهُ سَطْوَتَكَ وَخَوَّفْتُهُ نَقِمَتَكَ..**

هنا تبدأ أولى خطوات التحرك للتعرض لإجابة الدعاء، بتوكيل الأمور لله فعبّر عنها الداعي: (**فوكلته إليك، وتوكلت في أمره عليك**)، وبرز الجناس الاشتقاقي في (وكّلته–توكلت) في الفعلين الماضيين مع فارق المضعف للفعل الأول، ثمّ ينتقل المظلوم بما قدّمه للظالم قبل أن يرفع دعوته: (**وَتَوَعَّدْتُهُ بِعُقُوبَتِكَ وَحَذَّرْتُهُ سَطْوَتَكَ وَخَوَّفْتُهُ نَقِمَتَكَ..**) وهذه الجمل الثلاث تذكير وتهديد له بما يلحقه من الظلم بالعقوبة الإلهية والسطوة الإلهية والنقمة الإلهية بدليل إسناد الأسماء لضمير الخطاب الكاف العائد للربّ، فيكون التوازي التركيبي في الجمل الثلاث على النحو الآتي:

– فعل ماضٍ+ تاء الفاعل(المظلوم)+هاء الغيبة(الظالم)+ النتيجة المنتظرة (نوعها)+ كاف الخطاب العائد لله.

- **فَظَنَّ أَنَّ حِلْمَكَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفٍ وَحَسْبَ أَنَّ إِمْلَاءَكَ لَهُ مِنْ عَجْزٍ**

هنا يأتي فعل الظنّ (**ظنّ**) المتعلق بحال الظالم مؤكد بـ(**أنّ**) ليؤكد توهم الظالم أن(**حلم**) الله وإمهاله من ضعف، وورد فعل الظن الثاني وهو (**حسب**) أيضا تلاه توكيد بحرف النسخ (**أنّ**) ثم نتبين من هاتين الجملتين الظنيتين حال الظالم فهو واقع تحت مكر حتى ظنّ الإمهال له عن (**ضعف**) **أو** (**عجز**).

- **ولَمْ تَنْهَهُ وَاحِدَةٌ عَنْ أُخْرَى وَ لَا انْزَجَرَ عَنْ ثَانِيَةٍ بِأُوْلَى**

هذه الجمل حاكية أحوال الظالم مع المظلوم، فالظالم (**لم تنهه... ولا انزجر...**) أي: أنّه استمر في ظلمه في كل الأزمان الماضي والحاضر والمستقبل بدلالة أدوات النفي التي أشارت لهذا المعنى (لم، لا)، بل جاء التوكيد على هذه الحال بالجمل اللاحقة في قول الإمام الهادي عليه السلام:

- **وَلَكِنَّهُ تَمَادَى فِي غَيِّهِ**
- **وَتَتَابَعَ فِي ظُلْمِهِ**
- **وَلَجَّ فِي عُدْوَانِهِ**

نلحظ التوازي التركيبي في هذه الجمل بما فعله الظالم في الأفعال الماضية (**تمادى، وتتابع، ولجّ**)، وتعلقت هذه الأفعال بشبه جملة حاكية عن فعله بـ(**غيّه، وظلمه، وعداوته**).

- **وَاسْتَشْرَى فِي طُغْيَانِهِ جُرْأَةً عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي**
- **وَتَعَرُّضاً لِسَخَطِكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الظَّالِمِينَ**
- **وَقِلَّةَ اكْتِرَاثٍ بِبَأْسِكَ الَّذِي لَا تَحْبِسُهُ عَنِ الْبَاغِينَ..**

يبدو أنّ الظالم بما قدّمه وظنّه بإمهال الله جعله مستشريا: أي: لجّ[٤٠] في تجاز الحدّ في ظلمه جرأة على الله وقد يصدر هذا الظلم بحقّ الإنسان لنفسه لظلمة الجهل التي

دفعته عن نور العلم بحقّ نفسه عليه، فضلا عن جوره بحقّ ذاته وخروجه عن العدالة في تحقيقها في مملكته الأنفسية فصدق مولانا الأمير عليه السلام حين قال:

أتزعم أنّك جرمٌ صغير ... وفيكَ انطوى العالم الأكبرُ

وأنت الكتاب المُبين الذي ... بأحرفه يَظهر المُضمَرُ

وما حاجةٌ لكَ مِن خارجٍ ... وفِكْركَ فيكَ وما تصدرُ

فكان من حال هذا الظالم أنه متعرض للسخط الإلهي، الذي يوجب عذاب الظالمين، وهذا الظلم إنّما يتحقق بحق النفس أو الآخرين إذا عرّض الإنسان نفسه للظلم وهذا وارد جدا... بدليل عبارة الإمام عليه السلام: (**وَقِلَّةَ اكْتِرَاثٍ بِبَأْسِكَ الَّذِي لَا تَحْبِسُهُ عَنِ الْبَاغِينَ**)، فقلّة الاكتراث تعني عدم المبالاة[٤١].

- **فَهَا أَنَا ذَا يَا سَيِّدِي**
- **مُسْتَضْعَفٌ فِي يَدَيْهِ**
- **مُسْتَضَامٌ تَحْتَ سُلْطَانِهِ**
- **مُسْتَذَلٌّ بِعنَائِهِ**
- **مَغْلُوبٌ مَبْغِيٌّ عَلَيَّ**
- **مَغْضُوبٌ وَجِلٌ خَائِفٌ مُرَوَّعٌ مَقْهُورٌ**

وهذا التعبير (**فَهَا أَنَا ذَا**) اشتهر استعماله في السؤال عن شخص، فيكون رده قائلا: ها أنا ذا[٤٢]، ويمكن أن يفهم من دلالة (ها): للتنبيه وأنا: ضمير رفع، وذا اسم إشارة[٤٣]، دلالة واضحة بطلب المظلوم أن يقبل إليه ربّه لما لاقاه من ظلم وهضم، فيبدأ في تعداد أحواله التي جعلها مشتقات اسمية دالة على وصفه: (**مستضعَف، مستضَام، مستذَلّ، مغلُوب، مغضُوب، مروَّع، مقهُور**) وكلها واقعة عليها.

- قَدْ قَلَّ صَبْرِي
- وَضَاقَتْ حِيلَتِي

فكان حاله بعد ظلمه أن لجأ إلى الأسلوب الخبري بتوكيد الفعل الماضي بالحرف (قد)، (**قد قلّ صبري، وضاقت حيلتي**)، وقد سبق أن مرّت علينا هذه المعاني، لكنها تكررت هنا بعد الإيضاح لما جرى بحقّه.. فانطلقت عبارات شكوى المظلوم لله، ليفرغ عن حاله ومشاعره، ويؤكد اتصاله بمصدر النور لهذا الظلم والظلام لأي نوع من الظلم بحق نفسه أو الآخرين أو حتى ظلم بينه وبين الله الذي نشأ من ظلم نفسه، فضلا عن احتمال أن يكون هذا الظلم خروجا عن العدالة كما أشرنا سابقا.

- وَانْغَلَقَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ إِلَّا إِلَيْكَ
- وَانْسَدَّتْ عَنِّي الْجِهَاتُ إِلَّا جِهَتُكَ
- وَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ أُمُورِي فِي دَفْعِ مَكْرُوهِهِ عَنِّي
- وَاشْتَبَهَتْ عَلَيَّ الْآرَاءُ فِي إِزَالَةِ ظُلْمِهِ
- وَخَذَلَنِي مَنِ اسْتَنْصَرْتُهُ مِنْ عِبَادِكَ
- وَأَسْلَمَنِي مَنْ تَعَلَّقْتُ بِهِ مِنْ خَلْقِكَ
- وَاسْتَشَرْتُ نَصِيحِي فَأَشَارَ إِلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ
- وَاسْتَرْشَدْتُ دَلِيلِي فَلَمْ يدُلَّنِي إِلَّا عَلَيْكَ فَرَجَعْتُ إليك...[٤٤].

في هذه الجمل الفعلية نلحظ الآتي:

١.شكوى حال المظلوم لله تعالى، في قوله: (**وَانْغَلَقَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ إِلَّا إِلَيْكَ، وانْسَدَّتْ عَنِّي الْجِهَاتُ إِلَّا جِهَتُكَ**) فيتضح لنا خطاب المظلوم بالتمسك بكاف الخطاب لله وطلب النصرة.

٢.يأسه من نفسه، والعبارة مبطنة بالاعتراف أيضا بظلم نفسه بالتباس الأمور عليه واشتباه الآراء عليه: (وَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ أُمُورِي فِي دَفْعِ مَكْرُوهِهِ عَنِّي، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيَّ الْآرَاءُ فِي إِزَالَةِ ظُلْمِهِ)، وجاء التعبير بكلّ وضوح.

٣.يأس المظلوم من نصرة الآخرين، فضلا عمن توقع عونهم: (وَخَذَلَنِي مَنِ اسْتَنْصَرْتُهُ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَسْلَمَنِي مَنْ تَعَلَّقْتُ بِهِ مِنْ خَلْقِكَ).

٤.محاولات المظلوم من جهة أخرى بالاستشارة والاسترشاد: وعادت الدائرة بانغلاق الخطاب بالعودة لربّ العباد بالعون والنصرة: (وَاسْتَشَرْتُ نَصِيحِي فَأَشَارَ إِلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَاسْتَرْشَدْتُ دَلِيلِي فَلَمْ يدُلَّنِي إِلَّا عَلَيْكَ فَرَجَعْتُ إليك).

• فرجعت إليك يَا مَوْلَايَ صَاغِراً رَاغِماً مُسْتَكِيناً عَالِماً أَنَّهُ لَا فَرَجَ لِي إِلَّا عِنْدَكَ وَلَا خَلَاصَ لِي إِلَّا بِكَ ...

في هذا المقطع يعرض الإمام عليه السلام لحال المظلوم بالإنشاء الطلبي بأسلوب النداء المتضمن معنى التوسل والاستعطاف بأداة النداء الأكثر شيوعا (يا مولاي)، وتلاه اسم الفاعل في أحوال المظلوم: (صَاغِراً رَاغِماً مُسْتَكِيناً عَالِماً)، قال الخليل: «الصَاغِرُ: الراضي بالضَّيْمِ»[٤٥]، أي: راضيا بالذل والهوان بين يدي ربّه، طالبا مستكينا وقد تلبست كل هذه الأحوال بالاسمية لتدل على الثبات والدوام أمام الله سبحانه، فإنّ الداعي عالم وقاطع بالنفي بـ(لا) نافية للجنس، فينفي المظلوم أنّ (لَا فَرَجَ لِي إِلَّا عِنْدَكَ وَلَا خَلَاصَ لِي إِلَّا بِكَ).

• أَنْتَجِزُ وَعْدَكَ فِي نُصْرَتِي وَإِجَابَةَ دُعَائِي فَإِنَّكَ قُلْتَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ وَ قَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُرَدُّ وَ لَا يُبَدَّلُ) وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ) وَقُلْتَ: جَلَّ جَلَالُكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ) ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وأَنَا فَاعِلٌ مَا

أَمَرْتَنِي بِهِ لَا مَنًّا عَلَيْكَ وَ كَيْفَ أَمُنُّ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيْهِ دَلَلْتَنِي فصلّ على محمد وآل محمد فَاسْتَجِبْ لِي كَمَا وَعَدْتَنِي يَا مَنْ (لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ).

ينتقل الدعاء في هذا المقطع إلى الاستشهاد المباشر للنص القرآني، بما يتعلق بنصرة المظلوم وإجابة الدعاء.. وهذا ما قدّمه قبل الآيات التي يطلب فيها النصرة وإجابة الدعوة:

- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾[الحج:٦٠].
- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].
- وقوله تعالى: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[آل عمران:٩].

كما نلمح في أدب الدعاء في هذا المقطع مسائل منها:

١. نداء المولى عزّ وجلّ، وجاء بأداة النداء توكيدا وإن كان قريبا ولا حاجة للأداة.

٢. ذكر أوصاف وأحوال الداعي المظلوم الذي يطرح أموره بين يدي ربّه.

٣. الاستشهاد بالنص القرآني تأكيدا لأدب الدعاء وطلب الإجابة.

٤. تأكيد أنّ العبد فاعل ما أمر به الله الذي تفضل على عبده بما يفعل به.

٥. ذكر الصلاة على محمد وآل محمد من أدب الدعاء.

٦. طلب الإجابة بأنّه تعالى ذكره لا يخلف الميعاد.

- **وَإِنِّي لَأَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنَّ لَكَ يَوْماً تَنْتَقِمُ فِيهِ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ**
- **وَأَتَيَقَّنُ أَنَّ لَكَ وَقْتاً تَأْخُذُ فِيهِ مِنَ الْغَاصِبِ لِلْمَغْصُوبِ**

عمد الخطاب هنا إلى الأسلوب الخبري المؤدي فائدة الخبر بأنّ الله سيحقق

العدل بعد الجور والنور بعد الظلم وظلام الجهل، في يوم يكون الوقت قد تحققت الحكمة الإلهية فضلا عن يقظة صاحب الحق ووعيه بذلك، فقد يكون المظلوم هو الذي حقق الانتقام بطلب العقوبة وهي إحدى القوانين المختصة بالعفو بحسب ما يستحقه كل منهما الظالم والمظلوم...فانتقل من التوكيد بـ(أنّ) إلى النداء بالإنشاء الطلبي .. وأمّا من كان ظالما وأعانه على ذلك شقوته فهو في علم الله تحت سطوته ويوقعه بما يستحقه من العقوبة التي بدأها أولا بظلمه لنفسه.

• **إِنَّهُ لَا يَسْبِقُكَ مُعَانِدٌ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ قَبْضَتِكَ مُنَابِذٌ وَلَا تَخَافُ فَوْتَ فَائِتٍ**

هذه جمل متوازية تركيبا منفية بـ(لا) نافية غير عاملة، الداخلة على الفعل المضارع، (**لا يسبقك، ولا يخرجك، ولا تخاف**)، وتأخذ دلالة المستقبل أنّ كل شيء بيد الله تعالى.

• **وَلَكِنْ جَزَعِي وَهَلَعِي لَا يَبْلُغَانِ بِيَ الصَّبْرَ عَلَى أَنَاتِكَ وَانْتِظَارِ حِلْمِكَ فَقُدْرَتُكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فَوْقَ كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ وَسُلْطَانُكَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ سُلْطَانٍ وَمَعَادُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَمْهَلْتَهُ وَرُجُوعُ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْظَرْتَهُ**

• نلحظ في هذا المقطع تكرار بعض المضامين التي سبق وأن تعرض لها الطلب في الدعاء، ولكن تغير المواقف الدعائية والخطابات التي أقرّها الداعي لها دلالاتها، لذا نجد الداعي هنا يقرّ بجزعه عن الصبر عن حكمة الله فضلا عن معرفة موقفه من المظلوم، فيقدم بين يدي ربّه مناديا طالبا من قدرة الله وسلطانه، وتأخذنا الحكمة في تدقيق التفكر في قول الإمام الهادي عليه السلام: (**وَمَعَادُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَمْهَلْتَهُ وَرُجُوعُ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْظَرْتَهُ**) فكل إنسان معرض أن يقع في موقع الظلم لنفسه أو للآخرين أو بينه وبين ربّه.

• **وَقَدْ أَضَرَّنِي يَا رَبِّ حِلْمُكَ عَنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ وَ طُولُ أَنَاتِكَ لَهُ وإِمْهَالُكَ إِيَّاهُ وَكَادَ الْقُنُوطُ يَسْتَوْلِيَ عَلَيَّ لَوْلَا الثِّقَةُ بِكَ وَالْيَقِينُ بِوَعْدِكَ فَإِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ النَّافِذِ وَقُدْرَتِكَ**

الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ يُنِيبُ أَوْ يَتُوبُ أَوْ يَرْجِعُ عَنْ ظُلْمِي أَوْ يَكُفُّ عَنْ مَكْرُوهِي وَ يَنْتَقِلُ عَنْ عَظِيمِ مَا رَكِبَ مِنِّي، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَوْقِعْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ السَّاعَةَ السَّاعَةَ قَبْلَ إِزَالَةِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَتَكْدِيرِ مَعْرُوفِكَ الَّذِي صَنَعْتَهُ عِنْدِي وَإِنْ كَانَ عِلْمُكَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامٍ عَلَى ظُلْمِي فَإِنِّي أَسْأَلُكَ يَا نَاصِرَ الْمَظْلُومِ الْمُبْغِيِّ عَلَيْهِمْ إِجَابَةَ دَعْوَتِي..

نلحظ في هذا المقطع المسائل الآتية:

١ .توكيد الكلام بضرّ الظلامة من فلان... الذي كنّى عنه الإمام عليه السلام.

٢ . توجيه الخطاب لله عزّ وجلّ أنّ ما جرى بحلمك وإمهالك للظالم كاد يوجهني للقنوط لولا الثقة واليقين بوعد الله لنصرة المظلوم ولو بعد حين.

٣.الشرط في الدعاء وإن قلّ في الطلبة، فقد صدر في:(**فَإِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ النَّافِذِ وَقُدْرَتِكَ الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ يُنِيبُ أَوْ يَتُوبُ أَوْ يَرْجِعُ عَنْ ظُلْمِي أَوْ يَكُفُّ عَنْ مَكْرُوهِي وَ يَنْتَقِلُ عَنْ عَظِيمِ مَا رَكِبَ مِنِّي، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَوْقِعْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ السَّاعَةَ السَّاعَةَ قَبْلَ إِزَالَةِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ..**)، ففي هذا النص الشرط في كون الظالم إن كان في علم الله وقضائه أن له من توبة أو إنابة أو رجوع عن ظلم فتوجه بالإنشاء الطلبي بأسلوب الأمر الخارج لمعنى الدعاء أن يوقع الله في قلبه ما تقدّم الساعة وتوكيد الساعة بتكرارها اللفظي لتوكيد طلب هداية الظالم، منتقلا بالتوسل أن تكون إجابة الدعاء وعيا منه شكرا على النعمة التي أنعمها الله على عبده المظلوم بإجابة دعوته..

٤ .وترك الداعي احتمال أن يكون هذا الظلم لمقام يرزقه الله للمظلوم أو في علم الله غير ذلك..، فسأل الله إجابة الدعوة..

• وفي المقطع الأخير، تنوعت الأساليب الإنشائية والخبرية، ولا سيما ما يتعلق بأسلوب الأمر وصيغة فعل الأمر حيث ورود فعل الأمر **في خمسين موضعا تمت الإشارة إليها جميعا باللون الغامق ووضع الخط تحت الفعل،**

وكانت الأفعال في غرضها لطلب الدعاء بحقّ الظالم... ومن المعلوم أنّ الأمر عندما يكون صادرا من الأدنى رتبة إلى أعلى رتبة يخرج لغرض الدعاء كما ورد في الدعاء...

• فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَخُذْهُ مِنْ مَأْمَنِهِ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ وَافْجَأْهُ فِي غَفْلَتِهِ مُفَاجَاةَ مَلِيكٍ مُنْتَصِرٍ وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَهُ وَ سُلْطَانَهُ وَافْضُضْ عَنْهُ جُمُوعَهُ وَأَعْوَانَهُ وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وَفرِّقْ أَنْصَارَهُ كُلَّ مُفَرَّقٍ وَ أَعِرْهُ مِنْ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَمْ يُقَابِلْهَا بِالشُّكْرِ وَانْزِعْ عَنْهُ سِرْبَالَ عِزِّكَ الَّذِي لَمْ يُجَازِهِ بِالْإِحْسَانِ وَاقْصِمْهُ يَا قَاصِمَ الْجَبَابِرَةِ وَأَهْلِكْهُ يَا مُهْلِكَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَأَبِرْهُ يَا مُبِيرَ الْأُمَمِ الظَّالِمَةِ وَاخْذُلْهُ يَا خَاذِلَ الْفِئَاتِ الْبَاغِيَةِ وَابْتُرْ عُمُرَهُ وَابْتَزَّ مُلْكَهُ وَعفِّ أَثَرَهُ واقْطَعْ خَبَرَهُ وَأَطْفِئْ نَارَهُ وَأَظْلِمْ نَهَارَهُ وَكَوِّر شَمْسَهُ وَأَرْهِقْ نَفْسَهُ وَاهْشِمْ سُوقَهُ وجُبَّ سَنَامَهُ وَأَرْغِم أَنْفَهُ وَعَجِّلْ حَتْفَهُ وَلَا تَدَعْ لَهُ جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهَا وَلَا دِعَامَةً إِلَّا قَصَمْتَهَا وَلَا كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلَّا فَرَّقْتَهَا وَلَا قَائِمَةَ عُلُوٍّ إِلَّا وَضَعْتَهَا وَلَا رُكْناً إِلَّا وَهَنْتَهُ وَ لَا سَبَباً إِلَّا قَطَعْتَهُ وَأَرِنَا أَنْصَارَهُ وَجُنُودَهُ وَأَعْوَانَهُ وَأَحِبَّاءَهُ وَأَرْحَامَهُ عَبَادِيدَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ وَشَتَّى بَعْدَ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَمُقْنِعِي الرُّءُوسِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَى الْأُمَّةِ وَاشْفِ بِزَوَالِ أَمْرِهِ الْقُلُوبَ المنقلبة الْوَجِلَةَ وَالْأَفْئِدَةَ اللَّهِفَةَ وَالْأُمَّةَ الْمُتَحَيِّرَةَ وَالْبَرِيَّةَ الضَّائِعَةَ وَأَدِلْ بِبَوَارِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ وَالسُّنَنَ الدَّائِرَةَ وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ وَالْمَعَالِمَ الْمُغَيَّرَةَ والتلاوات المتغيرة وَالْآيَاتِ الْمُحَرَّفَةَ وَالْمَدَارِسَ الْمَهْجُورَةَ وَالْمَحَارِيبَ الْمَجْفُوَّةَ وَالْمَسَاجِدَ الْمَهْدُومَةَ وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاغِبَةَ وَارْوِ بِهِ اللَّهَوَاتِ اللَّاغِبَةَ وَالْأَكْبَادَ الظَّامِئَةَ وَأَرِحْ بِهِ الْأَقْدَامَ الْمُتْعَبَةَ وَاطْرُقْهُ بِلَيْلَةٍ لَا أُخْتَ لَهَا وَبِسَاعَةٍ لَا شفاء فِيهَا وَبِنَكْبَةٍ لَا انْتِعَاشَ مَعَهَا وَ بِعَثْرَةٍ لَا إِقَالَةَ مِنْهَا وَأَبِحْ حَرِيمَهُ وَنَغِّصْ نَعِيمَهُ وَأَرِهِ بَطْشَتَكَ الْكُبْرَى وَنَقِمَتَكَ الْمُثْلَى وَقُدْرَتَكَ الَّتِي هِيَ فَوْقَ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانَكَ الَّذِي هُوَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِهِ وَ اغْلِبْهُ لِي بِقُوَّتِكَ الْقَوِيَّةِ وَمِحَالِكَ الشَّدِيدِ

وامْنَعْنِي مِنْهُ بِمَنْعِتِكَ الَّتِي كُلُّ خَلْقٍ فِيهِ ذَلِيلٌ وَابْتَلِهِ بِفَقْرٍ لَا تَجْبُرُهُ وَ بِسُوءٍ لَا تَسْتُرُهُ وَ كِلْهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيمَا يُرِيدُ إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ وَأَبْرِئْهُ مِنْ حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ وَكِلْهُ إِلَى حَوْلِهِ وَ قُوَّتِهِ وأَذِلّ مَكْرَهُ بِمَكْرِكَ وَادْفَعْ مَشِيَّتَهُ بِمَشِيَّتِكَ وَأَسْقِمْ جَسَدَهُ وَأَيْتِمْ وُلْدَهُ وَانْقُصْ أَجَلَهُ وَخَيِّبْ أَمَلَهُ وَ أَزِلْ دَوْلَتَهُ وَأَطِلْ عَوْلَتَهُ واجْعَلْ شُغُلَهُ فِي بَدَنِهِ وَلَا تَفُكَّهُ مِنْ حُزْنِهِ وَصَيِّرْ كَيْدَهُ فِي ضَلَالٍ وَأَمْرَهُ إِلَى زَوَالٍ وَ نِعْمَتَهُ إِلَى انْتِقَالٍ وَجِدَّهُ فِي سَفَالٍ وسُلْطَانَهُ فِي اضْمِحْلَالٍ وَعَاقِبَتَهُ إِلَى شَرِّ مَآلٍ وَأَمِتْهُ بِغَيْظِهِ إِذَا أَمَتَّهُ وَأَبْقِهِ لِحُزْنِهِ إِنْ أَبْقَيْتَهُ وقِنِي شَرَّهُ وَ هَمْزَهُ وَ لَمْزَهُ وَ سَطْوَتَهُ وَعَدَاوَتَهُ وَالْمَحْهُ لَمْحَةً تُدَمِّرُ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّكَ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا.

وورد في هذا المقطع الأخير صيغتا نهي في قوله عليه السلام:(وَلَا تَدَعْ لَهُ جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهَا..)، و(وَلَاتَفُكَّهُ مِنْ حُزْنِهِ) وبما أنّ النهي قد صدر من أدنى رتبة لأعلى رتبة –لله تعالى– فقد خرج النهي للدعاء، وورد الجناس الاشتقاقي في بعض الموارد: (**وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وَفَرِّقْ...، وَقُدْرَتَكَ الَّتِي هِيَ فَوْقَ قُدْرَتِهِ...، وامْنَعْنِي مِنْهُ بِمَنْعِتِكَ...، وأَذِلّ مَكْرَهُ بِمَكْرِكَ...، وَادْفَعْ مَشِيَّتَهُ بِمَشِيَّتِكَ...، وَأَبْقِهِ لِحُزْنِهِ إِنْ أَبْقَيْتَهُ...، وَالْمَحْهُ لَمْحَةً تُدَمِّرُ بِهَا عَلَيْهِ...**).

الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية في تراث الإمام الهادي عليه السلام، والاستنارة بنور هدايته، توصل البحث لبعض النتائج أُجملها على النحو الآتي:

١.تنوعت الأدعية المنقولة عن الإمام الهادي عليه السلام في طولها وقصرها، وكان من أطولها الدعاء محل الدراسة في هذا البحث هو دعاء المظلوم على الظالم.

٢.تعدّدت معاني الظلم في القرآن الكريم، وكانت لهذه اللفظة سياقات مختلفة، وتنوعت دلالات هذه اللفظة وسياقاتها في دعاء المظلوم على الظالم للإمام الهادي عليه السلام.

٣.أقرّ البحث تنوع الظلم إلى الظلم الشرعي والظلم الأخلاقي والظلم العقائدي، وقد بيّناه في موضعه.

٤.دلالة الظلم تنقسم لمعنيين هما الظلام والجور بعكس النور والعدالة فكل خروج عن الهداية وأنوار العلم فهو ظلم، وكذا الحال بالخروج عن طريق الاعتدال والاستقامة هو جور، ويدخل الإنسان في ظلام الجهل والجور بظلم نفسه في كلّ لحظة.

٥.التغاير الدلالي في استعمال المفردة بدا واضحا في دعاء الإمام الهادي عليه السلام وقد أشار البحث لنماذج منها كما في لفظة (الجهاد).

٦.كثُر التوازي التركيبي لمعان دلالية مقصودة في سياقات متنوعة وقد بان ذلك واضحا في لغة الدعاء.

٧.تنوعت الأساليب الإنشائية والخبرية في دعاء الإمام الهادي عليه السلام، وقد اُستخدمت الأساليب البلاغية على نحو كبير من الدقة وبحسب الأهمية...

هوامش البحث

١) أدب الشريعة دراسة جديدة في بلاغة القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوما: ٣٥١.

٢) سبق وإن كتبت بحثا في كلام الهادي ﷺ موسوما بـ(الاستشهاد بالنص القرآني في كلام الإمام الهادي ﷺ، في المؤتمر العلمي الأول الإمام الهادي ﷺ عبق النبوة وعماد السلام المجتمعي الذي أقامه مركز تراث سامراء بالتعاون مع كلية الدراسات القرآنية/ جامعة بابل، ١٩ شعبان ١٤٣٩ه الموافق ٦/ ٥/ ٢٠١٨. وقدر صدر قبل أشهر قلائل وقائع المؤتمر عن مركز تراث سامراء في أجزاء ثلاث.

٣) العين: ٨/ ١٦٤.

٤) الصحاح: مادة ظلم.

٥) مفردات غريب القرآن: ٥٣٧.

٦) أساس البلاغة: ٦٢٦.

٧) ينظر: الصحاح مادة ظلم، ومفردات الراغب: ٥٣٧، ولسان العرب: مادة ظلم.

٨) لقاء شخصي مع الأستاذة نادية فاضل حنتوش الظالمي، يوم ٩/ ١٠/ ٢٠٢٠.

٩) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٥٣٧، وينظر: المواهب معجم لألفاظ قرآنية: ٢/ ٥٠-٥١.

١٠) مفردات الر اغب: ٥٣٨.

١١) لقاء شخصي مع الأستاذة نادية فاضل الظالمي: يوم ١٧/ ١٠/ ٢٠٢٠.

١٢) العين: ٨/ ١٦٤.

١٣) التعريفات: ١٤١.

١٤) الصحيفة السجادية: ١٨٧.

١٥) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٩.

١٦) تحف العقول: ٤٨٣، الميزان الحكمة: ٢/ ١٣١٦.

١٧) موضوع العفو فيه تفاصيل كثيرة وهو كتاب تحت الطبع والمراجعة.

١٨) بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٣٥.

١٩) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

٢٠)مهج الدعوات: ٣٢٠، بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٣٦،

٢١) مهج الدعوات: ٣٢٠، بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٣٦،

٢٢) الفروق اللغوية: ١٨٦.

٢٣) المحكم والمحيط الأعظم: ١٠/ ٣٨١.

٢٤) ينظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ٥٤٢.

٢٥) العين: ٧/ ١٥٩.
٢٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٤/ ٣٧٨.
٢٧) مفرادات الراغب الأصفهاني: ٦٦٢.
٢٨) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١١٦.
٢٩) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٨٨.
٣٠) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٤٩.
٣١) ينظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ٦٨١.
٣٢) المصدر نفسه: ١٨١.
٣٣) التعريفات: ١٥٥.
٣٤) المصدر نفسه: ٢٢١.
٣٥) الصحاح:مادة عقل.
٣٦) العين: ٣/ ١٨٥.
٣٧) مهج الدعوات: ٣٢٥.
٣٨) العين: ٣/ ٣٨٦.
٣٩) مهج الدعوات: ٣٢١.
٤٠) ينظر: الصحاح: مادة شرى.
٤١) ينظر: الصحاح: مادة كرث.
٤٢) معاني النحو:١/ ٩٧.
٤٣) معجم علوم العربية: ٤٧٦.
٤٤) مهج الدعوات: ٣٢١.
٤٥) العين: ٤/ ٣٧٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

* أدب الشريعة الإسلامية دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوما، د.محمود البستاني، ط١، مؤسسة السبطين العالمية، ١٤٢٤هـ.

* أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

* إعراب القران وبيانه، محيي الدين بن احمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، ط٤، دار الإرشاد للشؤون الجامعية–سوريا، ١٤١٥هـ.

* بحار الأنوار، محمد تقي المجلسي، الطبعة: الثانية المصححة، ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م.

* تحف العقول عن آل الرسول(صلى الله عليهم)، أبو محمد حسن بن علي بن شعبة الحراني (ت حدود ٤٠٠هـ)، عني بتصحيحه والتعليق عليه/ علي أكبر غفاري، ط١، دار الكتاب العربي، بغداد، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

* التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تح/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

* تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان، د.ت.

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تح/ احمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين–بيروت، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

* الصحيفة السجادية الكاملة: للإمام زين العابدين (عليه السلام)، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م.

* الصحيفة الهادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام)، السيد محمد باقر نجل آية الله السيد مرتضى الموحد الأبطحي، تحقيق ونشر:مؤسسة الإمام المهدي(عج)، قم المقدسة، ط٢، مطبعة أنصار المهدي(عجل الله فرجه)، ١٤٢٧هـ.

* العين:، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي البصري(ت ١٧٠هـ)، تح/ د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، د.ط، دار مكتبة الهلال، د.ت.

* الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح/ أحمد إبراهيم سليم، د. ط، دار العلم والثقافة– مصر، د.ت.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري(ت ٧١١ه)، ط٣، دار صادر –بيروت، ١٤١٤هـ.

* المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
* مسند الإمام الهادي ﷺ: جمعه ورتبه:عزيز الله العطاردي، الطبعة الثانية، انتشارات عطارد، إيران، ١٣٩١.
* المفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد معروف بن راغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تح/ صفوان عدنان الداودي، د.ط، دار القلم- بيروت، ١٤١٢هـ.
* معاني النحو، فاضل الصالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠٠٠م.
* معجم علوم العربية، محمد ألتنوجي، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣م.
* من أروع ما قاله الإمام علي الهادي عليه السلام: محسن عقيل، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
* مُهج الدعوات و منهج العبادات: العالم رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس(ت٦٦٤هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ.
* موسوعة الإمام الهادي إعداد معهد باقر العلوم ﷺ منظمة الإعلام الإسلامي، محمود الشريفي- السيد حسين سجادي تبار-علي غلامي، الشركة الدولية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.
* موسوعة الإمام الهادي ﷺ: أبو الفضل الطباطبائي، أبو الفضل الإسماعيلي، إشراف: أبو القاسم الخزعلي، الطبعة الأولى، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قسم المشرفة، ١٤٢٣هـ، برنامج ألكتروني.
* موسوعة الإمام الهادي ﷺ: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار المنهاج، د.ط، د.ت.
* المواهب معجم لألفاظ قرآنية مستخلص من تفسير مواهب الرحمن للسيد عبد الأعلى السبزواري، أياد محمد علي الأنارؤوطي، الطبعة الأولى، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العراق، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦.
* ميزان الحكمة ، محمد الريشهري، د.ط، دار الحديث – قم، ١٤٢٢هـ.
* الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، تأريخ الإصدار، ١٤١٧هـ.
ثانيا: اللقاءات الشخصية:
لقاء مع الأستاذة نادية فاضل حنتوش الظالمي، شهر تشرين الأول/ ٢٠٢٠.